

العرب وحركة "تركيا الفتاة":  
العثمانية والعروبة والإسلام  
في الإمبراطورية العثمانية، 1908 - 1918<sup>1</sup>  
**Arabs and Young Turks:  
Ottomanism, Arabism, and Islamism  
in the Ottoman Empire, 1908-1918**

**Hasan Kayali**

Berkeley: University of California Press, 1997.

291 pages. \$48 cloth; \$18 paper.

ينتمي حسن كيالي إلى جيل من الدارسين الشباب الموهوبين، الذين يستخدمون تشكيلة واسعة من المصادر لتحدي نماذج تاريخية قومية راسخة، وذلك على أسس تجريبية ومنهجية ونظرية. ويناقش كيالي في هذا الكتاب نشأة الوعي القومي العربي في الأراضي العثمانية، في إطار السياسات العثمانية، ومن خلال التفاعل مع سياسات الحكومة المركزية العثمانية، بعرض أبعاد كانت، إلى الآن، مغفلة ومهملة. فهو يعارض وجهة النظر المتكررة كثيراً في أن الحركات القومية في دول البلقان ولدت القومية التركية، التي غذت بدورها سياسات التتريك، ولدت، بالتالي، القومية العربية. فبدلاً من ذلك، يوجه كيالي اهتمامنا إلى التعقيدات المتضمنة في بروز المشاعر القومية بين السكان المسلمين في الإمبراطورية العثمانية.

إن قدرة كيالي على استخدام مصادر متنوعة باللغات التركية العثمانية، والعربية، والإنكليزية، والألمانية، تمكّنه من تقديم معلومات جديدة. وأجزاء الكتاب التي تتناول الانتخابات النيابية والسياسات الحزبية مفيدة ومبتكرة بصورة خاصة. والمساهمة المهمة الأخرى التي يقدمها كتاب كيالي هي المعلومات الغنية التي يعرضها بشأن الطبيعة المتقاطعة عرقياً للتحالفات السياسية التي تتشكل على أساس المسائل والسياسات الاستعمارية، مثلما يمهد التقاء المصالح الإقليمية لقيام

---

<sup>1</sup> المصدر. *Journal of Palestine Studies*, Vol. XXVIII, No. 4, Summer 1998, pp. 107 – 108.

التكتلات الأكثر انسجاماً نسبياً، والتي تسعى لتمييز نفسها على صعد عرقية أو إقليمية. وفي هذا الإطار، يُلقى كياي الضوء على الاضطرابات والتصدّعات الداخلية في الدولة العثمانية، وعلى أزمات صانعي السياسة الاستعمارية والقادة السياسيين المحليين، وعلى جذور الحركات السياسية الإقليمية المتعددة.

ويصبح من الواضح أن المسار المغلوط فيه الوحيد الأكثر أهمية في السياسات العثمانية تمحور حول مسألة تقاسم السلطة بين الحكومة المركزية والحكومات المحلية، أو حول النقاش بين دعاة المركزية ودعاة اللامركزية. ويركّز كياي اهتمامه على مواقف اللاعبين الناطقين بالعربية والتركية في ميدان الصراع السياسي العثماني في هذا النقاش، ويراقب المواقف المتعارضة. إن لجنة الاتحاد والترقي، تاعتبارها القوة السائدة في السياسات العثمانية خلال الفترة الممتدة من سنة 1908 إلى سنة 1918، والدعامة الأساسية للسياسات المركزية، كان لديها نواة صارمة للقيادة، تتكوّن، بصورة أساسية، من ناطقين بالتركية، بينما كان المثقفون والقادة السياسيون الناطقون بالعربية ناشطين في معسكر اللامركزية. ومع ذلك، وحتى حين تولّت لجنة الاتحاد والترقي المسؤولية الكاملة عن الحكومة في النهاية، خلال 1912. 1913، كان عليها تقديم تنازلات إلى دعاة اللامركزية الناطقين بالعربية.

ويقترح كياي أيضاً أنه في حال شكّلت الخلافات في وجهات النظر بشأن تقاسم النفوذ قوة نابذة عن المركز، فإن هموم المحافظة على الدولة العثمانية، ذات العرقيات المتعددة، كحصن ضد المزيد من العدوان الخارجي والمعارضة الداخلية، أو النزعة العثمانية، على العموم، شكّلت قوة معاكسة جاذبة إلى المركز. وبحلول سنة 1912، أدّت الأوضاع الديموغرافية والسياسية إلى تقليص نطاق النزعة العثمانية لتقتصر على السكان المسلمين في الإمبراطورية، إلى حد كبير، الأمر الذي أعاد نزعة التعددية الدينية فيها إلى الوراء. وهذه النزعة "العثمانية الإسلامية" هي ما التزمته، في النهاية، لجنة الاتحاد والترقي، لا برنامج القومية التركية. وبالمثل، فإنه بينما كان مناهضو لجنة الاتحاد والترقي من العرب (وسواهم) يتصدون لسياساتها المركزية، فقد ظلّوا مواليين، في الغالب، للنزعة العثمانية، نظراً إلى خليط من الأسباب التي بينها المخاوف الحقيقية من احتلال أوروبي لاحت بواده للعيان. إلا إن الحركات العروبية، وحتى التركية، ظلّت في معظمها ثقافية أكثر من كونها سياسية أو أيديولوجية بطبيعتها، حتى سنوات الحرب الكبرى على الأقل.

وكبكية مؤرخي هذه الفترة، يرى كياي أن الدمار الناجم عن سنوات الحرب في ظل حكم عسكري صارم، والهزيمة النهائية للجيش العثمانية، شجعا على البحث عن استراتيجيات وتحالفات وكيانات سياسية جديدة. لكن على العكس من معظم المؤرخين، يتمسك كياي برؤيته أن الأيديولوجيات الجديدة الناشئة في المنطقة لم تكن جاهزة بانتظار إطلاقها. وهو بذلك يظل يلقي الضوء، حتى نهاية سرده، على التحالفات المتغيرة والمفاوضات والالتزامات المتعددة الجوانب، وعلى الوجوه المتعددة للهوية، التي ظلت تميز الحياة السياسية في المنطقة على عتبة مرحلة جديدة من تاريخها الحديث.

إن جهود كياي لعرض هذا الوضع المعقد في كتاب مختصر نسبياً، تقدم قراءة مكثفة فعلاً. وهي أيضاً مساهمة كبيرة في أدبيات نامية عن ثلاثة موضوعات وثيقة الصلة فيما بينها: صعود القومية العربية؛ أوضاع الولايات العربية؛ الحركات الإسلامية في العقود الأخيرة من التاريخ العثماني. وتميل معالجة كياي للحركات الإسلامية إلى اعتبار الإسلام فئة لا تمايز داخلها. إن الكثير من الأحداث المذكورة، كالمعارضة السلفية (ولجنة الاتحاد والترقي) للسلطان عبد الحميد الثاني في سياساته الإسلامية على أسس دينية، والثورات الدينية ضد الحكومة العثمانية في اليمن وأماكن أخرى، أو نزعة الشريف حسين إلى الدين في ثورته ضد النزعة "العثمانية الإسلامية" للجنة الاتحاد والترقي، يشير إلى وضع أكثر تعقيداً. فمن الواضح أن الإسلام يمثل تقليداً ثقافياً. خلقياً غنياً، يمكنه التكيف وفق قضايا مختلفة كثيرة. وإذا كان قد بدا فارق ضئيل في مستوى معالجة كياي فيما يتعلق بالقضايا الدينية، فإن هذا لم يبرز إلاّ قياساً بالمستوى الرفيع الذي عالج فيه القضايا الأخرى في كتابه *Arabs and Young Turks*.

**إنغن دينيس أكارلي**

أستاذ التاريخ في جامعة براون،

بروفدانس، رود آيلند

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>